معاني دلالة اللفظ :

التقوى بمعني الخشية :

جاء ذلك كثيراً في القرآن الكريم ، قال تعالي على لسان نوح عليه السلام : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴾ [١] . يعني ألا تخشون الله – تعالي – ، وكذلك قال هود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب لقومهم ، كما قال ابراهيم عليه السلام – لقومه : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢] .

ونظير ذلك قول الله تعالي مخاطباً الناس أجمعين ، على لسان نبيه الخاتم (ﷺ) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [٣] .

التقوى بمعني الإيمان :

تأتي التقوى بمعني الإيمان قال تعالي : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى

---

١ – سورة الشعراء الآيتان : ١٠٥ ، ١٠٦ .

٢ – سورة العنكبوت الآية : ١٦ .

٣ – سورة لقمان الآية : ٣٣ .

رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (١) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى في موسى وفرعون : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ (٣) .

التقوى بمعنى التوبة

جاء ذكر هذا المعنى في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٤)

التقوى بمعنى الطاعة

في هذا المعنى يقول الله تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (٥) . ويقول سبحانه : ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

---

١ - سورة الفتح الآية : ٢٦ .

٢ - سورة الحجرات الآية : ٣ .

٣ - سورة الشعراء الآيتان : ١٠ ، ١١ .

٤ - سورة الأعراف الآية : ٩٦ .

٥ - سورة النحل الآية : ٢ .

والأَرْضِ ولَهُ الدِّينُ وَاصبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ [١] . ويقول جل شأنه : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [٢] .

التقوى بمعنى ترك المعصية :

جاء ذكر هذا المعني في قول الله تعالي : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٣] . أى فلا تعصوه .

التقوى بمعني الإخلاص :

كذلك جاءت كلمة التقوى بمعني الإخلاص . قال تعالي : ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ [٤] . وقال سبحانه : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [٥] . أى إخلاص القلوب .

---

١ – سورة النحل الآية : ٥٢ .

٢ – سورة المؤمنون الآية : ٥٢ .

٣ – سورة البقرة الآية : ١٨٩.

٤ – سورة البقرة الآية : ٤١ .

٥ – سورة الحج الآية : ٣٢ .

فضيلة التقوى وغايتها :

لقد ذكر الله تعالي كلمة التقوى في القرآن الكريم بمشتقاتها في مواضع كثيرة . تقرب من مائتي موضع ، كان منها المعاني السابقة ، بقي بعد ذلك أن نذكر فضيلة التقوى وغايتها ، حيث جاء الخطاب الإلهي- من خلالها - متعلقاً بالفرد والجماعة ، قال تعالي : ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ﴾ [١] وقال جل شأنه : ﴿ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ﴾ [٢] . فالتقوى جماع كل خير ، وحصن من كل سوء ، من تحقق بها فاز ونال، وهذا جلي وواضح في القرآن الكريم ، وها هو البيان ....

التقوى جماع كل الخير :

لقد بين ذلك المولي - عز وجل - في آية البر ، فقال سبحانه : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [٣] . ولما كان البر بر من آمن بالله واليوم ... الآية فإن الله - عز

---

١ - سورة الطلاق من الآية : ٥ .

٢ - سورة طه الآية : ١١٣ .

٣ - سورة البقرة الآية : ١٧٧ .

وجل قد زيلها بقوله : ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ وهذا غاية الثناء .

التقوى حصن يوم القيامة :

إن تقوى الله – تعالي – نجاة يوم القيامة ، ومن ثم أمر الله خلقه اتقاء يوم لقائه ، والرجوع إليه ، فقال جل شأنه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (٢) .

التقوى وسيلة إلي الله :

من رحمة الله – تعالي – بخلقه ، أن جعل تقواه مغفرة للذنوب ، وتكفيرا للسيئات ، وتنويرا للبصيرة ، وهذا مطلب غال أني للعبد به .. في ذلك يقول الله – تعالي – : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣) .

كما أن الصبر إذا قوي بالتقوى كان وسيلة لرد كيد العدو ، وإحباط كيده ، والإتيان بمدد الله تعالي ، قال جل شأنه : ﴿ إِن

---

١ – سورة البقرة الآية : ٤٨ .

٢ – سورة البقرة الآية : ٢٨١ .

٣ – سورة الأنفال الآية " ٢٩ .

تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[١] .

وقال سبحانه : ﴿ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[٢]

والإصلاح مع التقوى وسيلة لغفران الذنوب ، حينما ترفع الاستطاعة فيما يتعلق بالعدل بين الزوج وأزواجه ، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [٣] .

التقوى غاية العبادة :

خلقنا الله – تعالى – وأمرنا بعبادته ، فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٤] .ومن العبادة تكون التقوى وهي غاية العبادة ، فالصوم فرضه الله – تعالى – بهدف التقوى ، ولا غرو فإن الصوم المقبول يحققها إذا التزم الصائم بشروطه وآدابه ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٥] .

---

١ – سورة آل عمران الآية : ١٢٠ .

٢ – سورة آل عمران الآية : ١٢٥ .

٣ – سورة النساء الآية : ١٢٩ .

٤ – سورة البقرة الآية : ٢١ .

٥ – سورة البقرة الآية : ١٨٣ .

ومن الوصايا الإلهية العمل بتعاليم الكتاب المنزل ، واتباع صراط الله المستقيم طلباً للتقوى ، قال تعالي : ﴿ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

التقوى توسعة للرزق وسبب للرحمة :

وهذا واضح وجلي لا يحتاج للبيان ، قال تعالي : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالي : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ (٣) .

وقال جل شأنه : ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ...﴾ (٤)

---

١ - سورة الأنعام الآيتان : ١٥٢ ، ١٥٣ .

٢ - سورة الأعراف الآية : ٩٦

٣ - سورة الطلاق من الآيتين : ٢ ، ٣ .

٤ - سورة الأعراف الآيتان : ١٥٦ ، ١٥٧ .

التقوى سبب المفاضلة عند الله وبين الناس :

لقد جعل الله – تعالى – ميزان المفاضلة بين البشر – جميعاً – في التقوى لا في غيرها ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (١) .

وعن درة بنت أبي لهب قالت : قام رجل إلى النبي (ﷺ) وهو على المنبر ، فقال : يا رسول الله ، أي الناس خير ؟ فقال ﷺ : " خير الناس أقرؤهم واتقاهم لله عز وجل ، وأمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم " (٢) .

التقوى ثمرتها رضا الله والفوز بالجنة :

يقول الفخر الرازي : " لو لم يكن للمتقي فضيلة إلا ما في قوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ (٣) . كفاه ، لأنه تعالى بين أن القرآن هدي للناس في قوله تعالى : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ** ﴾ (٤) . ثم قال ها هنا في القرآن : إنه ﴿ **هدي للمتقين** ﴾ فهذا يدل على أن المتقين هم كل الناس ، فمن لا يكون متقيا كأنه ليس بإنسان " (٥) .

---

١ – سورة الحجرات الآية : ١٣ .

٢ – مسند الإمام أحمد ٦ / ٤٣٢ .

٣ – سورة البقرة الآية : ٢ .

٤ – سورة البقرة من الآية : ١٨٥ .

٥ – مفاتيح الغيب – للإمام فخر الدين الرازي ١ / ٣٨٢ .

ثم يقول – جل شأنه – مظهراً ثمرة التقوى لهؤلاء ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) . فجاء البيان بعلي هدى ، التي تعني الاستعلاء ، ليدل على تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه .. ونكر هدى " ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ، ولا قدره ، قال عون بن عبد الله : الهدى من الله كثير ، ولا يبصره إلا بصير ، ولا يعمل به إلا يسير .. وجاء تكرير " أولئك " لينبه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدي ، ثبت لهم الاختصاص بالفلاح أيضاً ، فقد تميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ، وجاء ضمير الفصل "هم" للدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة ، كما انه يفيد حصر الخبر في المبتدأ . ثم جاء التعريف في " **المفلحون** " للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم يفلحون في الآخرة ، وتحقيقه أن الله تعالي لما وصفهم بالقيام بما يلزمهم علما وعملاً ، بين نتيجة ذلك وهو الظفر بالمطلوب،الذي هو النعيم الدائم من غير شوب ، على وجه الإجلال والإعظام ، لأن ذلك هو الثواب المطلوب للعبادات " (٢)

ومن ثم نري أن المتقين هم وفد الله يوم القيامة ؛ قال تعالي : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ (٣) .

---

١ – سورة البقرة الآية : ٥ .

٢ – انظر مفاتيح الغيب – للإمام فخر الدين الرازي ١ / ٣٩٧ – ٤٠٠

٣ – سورة مريم الآيتان : ٨٥ ، ٨٦ .

وقال سبحانه : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (١) . وقال جل شأنه : ﴿ الأَخِلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

إنهم هم الفائزين بجنة وصفها الله – تعالى – في كتابه العزيز بقوله : ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ (٣) . ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾ (٤) . ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٥) .

التقوى وأقوال السلف :

من خطبة للإمام علي – كرم الله وجهه – يقول فيها : " أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإنها حق الله عليكم ، والموجبة

---

١ – سورة الزمر الآية : ٧٣ .

٢ – سورة الزخرف الآية : ٦٧ .

٣ – سورة الرعد الآية : ٣٥ .

٤ – سورة محمد الآية : ١٥ .

٥ – سورة القمر الآيتان : ٥٤ ، ٥٥ .

على الله حقكم " [١] ، وأن تستعينوا عليها بالله ، وتستعينوا بها على الله ، فإن التقوى في اليوم الحرز والجنة [٢] . وفي غد الطريق إلي الجنة ، مسلكها واضح ، وسالكها رابح ، فما أقل من قبلها وحَمَلَها حق حملها ، أولئك الأقلون عدداً ، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول : ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ [٣] .

ويقول كرم الله وجهه في خطبة أخرى : " فإن تقوى الله مفتاح سداد ، وذخيرة مَعَاد ، وعتق من كل مَلَكَة [٤] . بها ينجح الطالب ، وينجو الهارب ، وتنال الرغائب ، فاعملوا والعمل يُرفع ، والتوبة تَنفع ، والدعاء يُسمع ، والحال هادئة ، والأقلام جارية ... واحذروا الدنيا فإنها غدارة ، غرارة ، خدوع ، مُعطية منوع مُلبِسَةٌ نزوع ، لا يدوم رخاؤها ، ولا ينقضي عناؤها ، ولا يَرْكُدُ بلاؤها " [٥] .

---

١ - جرى في الكلام على نحو قوله تعالي ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين . سورة الروم من الآية : ٤٧ ﴾ يريد أن التقوى جعلها الله سبباً لاستحقاق ثوابه ، ومعينة على رضائه .

٢ - الجنة : بضم الجيم الوقاية ، وبفتحها دار الثواب .

٣ - سورة سبأ من الآية : ١٣ " نهج البلاغة - للإمام علي - شرح الشيخ محمد عبده ١ / ٤٠٧ " .

٤ - الملكة : بالتحريك الرق أى عتق من رق الشهوات والأهواء .

٥ - انظر : نهج البلاغة - للإمام علي - شرح الشيخ محمد عبده ١ / ٥٠٠ - ٥٠٢ .

وقال الحسن بن علي – رضي الله عنهما – : " التقوى أن لا تختار على الله سوي الله، وتعلم أن الأمور كلها بيد الله .

وقال إبراهيم بن أدهم : التقوى أن لا يجد الخلق في لسانك عيباً ، ولا الملائكة في أفعالك عيباً ، ولا ملك العرش في سرك عيباً .

وقال الواقدي : التقوى أن تزين سرك للحق ، كما زينت ظاهرك للخلق .

ويقال : التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك .

ويقال أيضاً : المتقى من سلك سبيل المصطفي، ونبذ الدنيا وراء القفا ، وكلف نفسه الإخلاص والوفا ، واجتنب المحارم والجفا "[1] .

كل هذه الأقوال – وغيرها كثير – لا تخرج من معني التقوى ، والمتقي ، ومن ثم نكون قد أوضحنا في بيان موجز تعريف السلوك ، ومفهوم التقوى ، والمتقين في القرآن الكريم وما أعد لهم ، بقي بعد ذلك أن نذكر عمد أصول مقامات اليقين إذ عليها ينبني سلوك المتقين في طريقهم إلي الله – تعالي – كما أنها الأساس لمن أراد أن يكون تقياً موقنا بالله ، لا يأتيه زيغ أو شك لا من أمامه ولا من خلفه ، لا من ظاهره ، ولا من باطنه .

---

١ – انظر : مفاتيح الغيب – للإمام الفخر الرازي ١ / ٣٨٢ .

أصول مقامات اليقين

تعريف الأصل :

جاء في المعجم الوسيط : (أصَلَ) الشيء – أصلاً : استقصى بحثه ، حتى عرف أصله ، (أصّلَ) الشيء : جعل له أصلاً ثابتاً عليه .

(الأصالة) في الرأى : جودته . و – في الأسلوب : ابتكاره . و – في النسب : عراقته . (أصلُ) الشيء : أساسه الذي يقوم عليه .

(الأصول) : أصول العلوم : قواعدها التى تنبني عليها الأحكام . والنسبة إليها : أصولي [١] .

وذكر صاحب المفردات :

" أصل الشيء قاعدته التى لو تُوهمت مرتفعة لارتفع بارتفاعه سائره،لذلك قال تعالي : ﴿ **أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** ﴾ [٢] . وقد تأصل كذا ، وفلان لا أصل له ولا فصل [٣]

من هذا نقول :

أن الأصل يعني الأساس الذي ينبني عليه الشيء ، وبرفعه يرتفع سائره . ولما كان الأمر يتعلق بسلوك المتقين ، فإن هذا

---

١ – المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – ١ / ٢٠ .

٢ – سورة إبراهيم من الآية : ٢٤ .

٣ – المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني / ١٩ .

السلوك قائم على أسس ثابتة ، مهدت الطريق للمتقين ، أطلق عليها أصول مقامات اليقين ، هذه الأصول تعد العمد الرئيسة الأولي في سلوك المتقين .

هذه الأصول هي : التوبة ، الصبر ، الشكر ، الرجاء ، منها يرتقي المؤمن المتقي درجة المؤمن المقرب من الله – تعالي – ، المتحقق بهذه القاعدة " حسنات الأبرار سيئات المقربين " الأمر الذي يدل على تفاوت البشر ، واختلاف درجاتهم .

تعريف المقام :

جاء في لسان العرب : المُقامُ والمُقَامة : الموضع الذي تقيم فيه . والمُقَامةُ بالضم ، الإقامة .

والمَقامة بالفتح : المجلس والجماعة من الناس ، قال : أما المقَامُ والمُقَام فقد يكون كل واحد منهما بمعني الإقامة ، وقد يكون بمعني موضع القدم ، لأنك إذا جعلته من قَام يَقُوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يُقيم فمضموم ، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم ، لأنه مُشَبَّه ببنات الأربعة ،نحو دَحْرَجَ وهذا مُدَحْرَجنا .

وقوله تعالي : ﴿ لا مقام لكم ﴾ [١] أى لا موضع لكم ، وقرئ : لا مُقَام لكم " بالضم ، أى لا إقامة لكم : ﴿ خالدين فيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [٢] . أى موضعاً .

وقوله عز وجل : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [٣] . قيل : المقام الكريم هو المنبر ، وقيل : المنزلة الحسنة " [٤] .

وجاء في المعجم الوسيط " المقَام بالفتح : الدرجة والمنزلة ومن الدعاء المأثور :"وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته " [٥]

من هذا التعريف نعلم أن المقام يعني: الموضع ، والإقامة ، والدرجة ، والمنزلة .. وجميع هذه المرادات اللغوية لا تخرج عن مفهوم المقام الذي نريد بيانه .

فهو يعني : موضع قدم السالك ودرجته ، كما يعني إقامته ومنزلته .

وفي ضوء هذا نقول أن المراد بالمقام : منزلة السالك في طريقة الحقيقة – اليقين – ، وما اشتملت عليه الطريقة من درجات ومنازل ، يرتقي من خلالها السالك إلي الله – تعالي – ، كما يعني الأحوال المتضمنة للحقيقة لبيان كونها غير مخالفة

---

١ – سورة الأحزاب من الآية : ١٣ .

٢ – سورة الفرقان الآية : ٧٦ .

٣ – سورة الدخان الآيتان : ٢٥ ، ٢٦ .

٤ – لسان العرب – ابن منظور (مادة قوم) ٥ / ٣٧٨١ ، ٣٧٨٢ .

٥ – المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية (مادة قوم) ٢ / ٧٩٨ .

للشريعة .... فإذا أردت أن ينقلب معدنك إلي معدن غال نفيس فعليك بمعرفة الله – تعالي – واسلك هذه المقامات – التي سنبينها بعد – مع التحقيق بالصدق ، الذي لا يخرج عن الوفاء لله – تعالي – بالعمل ، بحيث لا تري إلا في فرض تؤديه ، أو فضل تعمل فيه ، مع استواء السر والعلانية .

تعريف اليقين :

جاء في المعجم الوسيط :"(يَقَنَ) الشيء – (يَيْقَن) يقنا ، ويَقينا : ثبت ، وتحقق ، ووضح فهو يَقَنٌ ، ويَقين . و – الشيء ، وبه : عَلِمَهُ وتحققه .

(اليقين) : العلم الذي لا شك معه . و (في الفلسفة) : اطمئنان النفس إلي حكم مع الاعتقاد بصحته .

وعِلْم اليقين وعَلَمُ يقين : ليس فيه شك . واليقين : الموت وفي التنزيل : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ [١] .

من هذا نري أن اليقين يعني : الثبات ، والتحقق ، والوضوح ، وهم علم انتفت عنه الشبهات والشكوك .

وقد أطلق اليقين في القرآن الكريم علي الموت ، لأنه واقع وثابت لا شك فيه ، قال تعالي : ﴿ **وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ** ﴾ [٢] .

---

١ – المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – ٢/ ١١٠٩ (مادة يقن) والآية من سورة الحجر : ٩٩ .

٢ – سورة المدثر الآيتان : ٤٦ ، ٤٧ .

وجاء ذكر
لفظ : توقنون
موقنون ، مو
واللام فقد جاء
﴿ أَحَطتُ بِمَا لَ
المعرفة بالألف
﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ
لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ
(٤) . وقال جل
الْيَقِينُ ﴾ (٥) .
الْيَقِينِ * لَتَرَوُ
وجميعها تعني
يقبل شكا ولا يز

فاليقين هو
الحق ، وهو الد
الإيمان بالغيب
كمعرفة أسمائه ت

١ – سورة النمل
٢ – سورة الحجر
٣ – سورة الواقع
٤ – سورة الحاقة
٥ – سورة المدثر
٦ – سورة التكاثر

ثم يقول – رحمه الله تعالي – :

" نعم يحصل لنا حق اليقين من مرتبة ، وهي ذوق ما أخبر به الرسول (ﷺ) من حقائق الإيمان ، المتعلقة بالقلوب وأعمالها فإن القلب إذا باشرها ، وذاقها ، صارت في حقه يقين " (١) .

" فلا تسرع إلي الإنكار ، وتأمل حال ذلك الصحابي - عمير بن الحمام – رضي الله عنه – يوم بدر – الذي أخذ تمرات ، وقعد يأكلها على حاجة وجوع وفاقة إليها ، فلما عاين سوة الشهادة قامت ، ألقي قوته من يده ، وقال " إنها لحياة طويلة إ بقيت حتى أكل هذه التمرات ، وألقاها من يده ، وقاتل حتى قتل ...هكذا كانت أحوال الصحابة – رضي الله عنهم – لقد فنوا بحب تعالي عن حب ما سواه ، وبمراده منهم عن مرادهم وحظوظهم فهم أهل بقاء في فناء ، وفرق في جمع ، وكثرة في وحده وحقيقة كونية في حقيقة دينية .

هم القوم لا قوم إلا هم ولولاهم ما اهتدينا سبيلاً (٢) .

يقول الهجويري في كتابه (كشف المحجوب) في (كشف الحجاب العاشر) :

" إن كل ما يحصل اليوم بعلم صحيح يتحقق غدا بالرؤية " علم اليقين " هو علم معاملات الدنيا بموجب الأحكام والأوام

١ – المصدر السابق – نفس الصفحة .
٢ – المصدر السابق ٢ / ٣٠٨ .

و " عين اليقين " هو حال النزع وإبان الخروج من الدنيا ، و " حق اليقين " هو العلم بكشف الرؤية في الجنة .

فعلم اليقين هو درجة العلماء بحكم استقامتهم على أحكام الأمور ، وعين اليقين هو مقام العارفين بحكم استعدادهم للموت ، وحق اليقين هو موضع فناء المحبين بحكم أعراضهم عن كافة الموجودات .

فيكون إذن علم اليقين بالمجاهدة ، وعين اليقين بالمؤانسة ، وحق اليقين بالمشاهدة ، فالأول عام ، والثاني خاص ، والثالث خاص الخاص " [١] .

يقول سهل بن عبد الله التستري : " أول مقام للمعرفة هو أن يمنح العبد يقينا في رأسه ، وتطمئن جوارحه جميعاً إلي ذلك اليقين ، أى إن الخواطر السيئة هي من ضعف اليقين " [٢] .

ويقول الشبلي : " علم اليقين هو ما بلغنا على لسان الأنبياء عليهم السلام ، وعين اليقين هو أن الله قد أبلغ إلينا بنور الهداية في أسرار القلوب من غير واسطة ، وحق اليقين هو الذي ليس إليه من طريق " [٣]

ثم يقول أحمد بن عاصم الانطاكي : " اليقين نور يقذفه الله في قلب العبد كي يشاهد به كل أمور الآخرة ، وتحترق بقوة ذلك

---

١ - تاريخ التصوف في الإسلام – د . قاسم غني / ٥٨١ ، ٥٨٢ .

٢ - المصدر السابق / ٥٨٢ .

٣ - المصدر السابق / ٥٨٣ .

النور جميع الحجب التي بينه وبين الآخرة ، حتى يطالع بذلك النور أمور الآخرة كلها كأنه يشاهدها عياناً " [١] .

بعد هذا البيان نقول :

إن علوم السادة الصوفية قد اشتركت مع غيرهم في المرتبة الأولي من مراتب العلم ، وهي مرتبة علم اليقين وهي معرفة تحصل بالاستدلال – أي معرفة مستندة إلي العقل والمنطق – وهي المعرفة الكسبية آلتي يستنتجها الباحث عن طريق العقل .... وقد امتازت عن غيرهم بمرتبتين أخريين هما :

١ – **مرتبة عين اليقين** : وهو ما كان من طريق الكشف والمشاهدة والنوال ، ومثاله : " لما أرسل سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – جيشا أمر عليهم رجلاً يسمي " سارية " فبينما عمر – رضي الله عنه – يخطب فجعل يصيح على المنبر : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، فقدم رسول الجيش فقال : يا أمير المؤمنين لقينا عدوا فهزمونا فإذا بصائح ، يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله تعالي " [٢]

٢ – **مرتبة حق اليقين** : وهو فناء العبد في الحق (الله) ، والبقاء به علما وشهودا وحالاً ، لا علماً فقط ، وبيان ذلك : إذا ترقي العبد من عين اليقين إلي حق اليقين ، وتحقق العبد به ، أصبح يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ، ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق ، كما أخبر الصديق – رضي الله

---

١ – المصدر السابق / ٥٨٢ .

٢ – الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – ابن تيمية / ١١٧ .

عنه- حين قال له رسول الله (ﷺ) ماذا أبقيت لعيالك ؟ قال : الله ورسوله .. إنه حق اليقين الذي ارتقي إليه الصديق – رضي الله عنه – حيث أزال العلل ، وأزاح التهم .

" يروي لنا الطوسي حاكيا عن الجنيد – رضي الله عنه – انه سئل عن اليقين : فقال : اليقين : ارتفاع الشك . لأن أول اليقين الثقة بما في يد الله تعالي ، ونهايته التصديق بالغيب ، بإزالة كل شك وريب ، والاستبشار ، وحلاوة المناجاة ، وصفاء النظر إلي الله تعالي ، بمشاهدة القلوب بحقائق اليقين ، بإزالة العلل ومعارضة التهم " [1] .

فاليقين وهو روح أعمال القلوب ينصرف إلي ثلاث درجات : علم يقين : وهو العمل بحقائق الإيمان ، وعين يقين : وأساسه التقوى والخشية ، أي مباشرة الإيمان بعين القلب " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " [2] . وصدق الله العظيم . حيث قال : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [3] . أما حق اليقين : فهو درجة الشهود والعرفان بالبصيرة ، وهذا لن يكون إلا لأصحاب المعارف ، وكلها تدور في قطب رحي الإيمان ... روي مسلم في صحيحه بسنده عن حنظلة الأسيدي قال : وكان

---

١ – اللمع – الطوسي / ١٠٤ .

٢ – رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن النعمان بن بشير (الجامع الصغير – السيوطي ١ / ١٥٣ صححه)

٣ – سورة محمد الآية : ١٧ .

من كتاب رسول الله ﷺ قال : " لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال قلت : نافق حنظلة قال : سبحان الله ما تقول ؟ قال قلت نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كانا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عَافَسْنَا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : وماذاك ؟ قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كانا رأىُ عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً ، فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات " [1] .

وها هو الإمام علي – كرم الله وجه – يبين تلك الدرجة العالية ، درجة الشهود والعرفان (حق اليقين) حينما سأله ذعلب اليماني [2] . قائلاً : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : أفأعبد ما لا أري !! فقال : وكيف تراه ؟ قال :

---

١ – صحيح مسلم ٨ / ٩٤ ، ٩٥ كتاب التوبة – باب دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة .

٢ – قال ابن أبي الحديد : الذعلب في الأصل الناقة السريعة ، وكذلك الذعلبة ثم نقل وسمي به إنسان وصار علماً ، كما نقلوا بكراً عن فتي الإبل إلي بكر بن وائل .

" لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان ، قريب من الأشياء غير ملامس [١] . بعيد منها غير مباين ، متكلم لا بروية ، مريد لا بهمة ، صانع لا بجارحة لطيف لا يوصف بالخفاء ، كبير لا يوصف بالجفاء [٢] . بصير لا يوصف بالحاسة ، رحيم لا يوصف بالرقة ، تعنو الوجوه لعظمته [٣] . وتجب القلوب من مخافته [٤] .

بهذا تكون قد بينا مفهوم اليقين ، مع ذكر أقسامه –مراتبه– ، وبيان معناها ، بقي بعد ذلك أن نذكر أصول مقامات اليقين ، إذ هي في الحقيقة أساس سلوك المتقين ، وقد بين ذلك المولى – عز وجل – حينما قال في وصف القرآن الكريم : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [٥] .

---

١ – (الملامسة والمباينة) على معني البعد المكاني من خواص المواد وذات الله – عز وجل – مبرأة من المادة وخواصها ، فنسبة الأشياء إليها سواء وهي في تعاليها فهي مع كل شيء وهي أعلى من كل شيء فالبعد بعد المكانة من التنزيه.(الروية) التفكر . (الهمة) الاهتمام بالأمر (الجارحة) العضو البدني .

٢ – (الجفا) الغلظ والخشونة .

٣ – (تعنو) تذل (وجب القلب) خفق واضطرب .

٤ – نهج البلاغة – للإمام علي – شرح الشيخ محمد عبده ١ / ٣٧٠ .

٥ – سورة البقرة الآيات : ٢ – ٤ .